الرأي العام والضبط الاجتماعي
"دراسة حالة شمال سيناء"*

أولا: أهمية موضوع الدراسة:

يعتبر الضبط الاجتماعى أساس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الأفراد، ويعد قاعدة أساسية لكل تنظيم اجتماعى، وخاصة أنه كلما اتسعت دائرة العلاقات الاجتماعية، وزيادة الاختلافات والمنافسات، صارعسيراً على الأفراد أن يعيشوا فى سلام بدون رجود عوامل ضابطة تجعلهم يكفون عن بعض ماتمليه دوافعهم الطبيعية، ومن خلال ذلك تتحقق حرية كل فرد وتتم وحدة النظام الاجتماعى. ويهدف الضبط الاجتماعى إلى ضمان استقرار التنظيم الاجتماعى مع مراعاة دينامية النظام الاجتماعى، حيث تعمل الضوابط الاجتماعية على تماسك الجماعة، إلا أن هذا التماسك قد لايكون كاملا بصفة منتظمة، وذلك لتعارض المصالح الشخصية للأفراد مع المصالح المشتركة للفئات والجماعات، وكثيراً ما تتداخل مصالح الوحدات الاجتماعية الصغرى مع مقتضيات مصالح الوحدات الاجتماعية الكبرى. ومن هنا تبدر أهمية الدور الذى تقوم به الضوابط الاجتماعية فى تنسيق الأنشطة والاهتمامات الفردية مع المصالح الجماعية.

وتتضمن فكرة الضبط الاجتماعى فعل الحكم ووضع القيود والتسلط والإخضاع أو التنظيم بوجه عام، كما تتضمن من ناحية أخرى فعل التوجيه

---

* يرجع الفضل فى ظهور هذه الدراسة إلى حيز النور إلى أستاذى الدكتور/ أحمد أبو زيد – أستاذ الأنثروبولوجيا وعميد كلية الآداب (سابقا) – والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، حيث أشركنى سيادته ضمن مجموعة البحث التى شاركت فى الدراسة التى قام بتمويلها المركز. وقد اعتمدت الدراسة الميدانية على المعلومات الأثنوجرافية التى جمعها الباحث ضمن فريق مشروع بحث «الدراسة الاثنوجرافية للمجتمعات الصحراوية فى مصر – دراسة حالة شمال سيناء».

والإرشاد وخلق التوائم والمحافظة على التماسك الاجتماعى. ويمكن القول أن كل مايساعد على امتثال الناس لقواعد وأنماط السلوك والمعايير والقيم السائدة فى المجتمع يدخل فى موضوع الضبط الاجتماعى. وتعتبر المصالح الاقتصادية عاملاً أساسياً من عوامل الضبط فى المجتمعات التقليدية نظراً لأنها تضع قيودا على سلوك الأفراد. كذلك يلعب الدين دورا هاما فى الضبط الاجتماعى لأنه يضع لأفراد المجتمع الأحكام والشرائع التى تنظم السلوك والعلاقات، كما يحدد العقوبات التى يجب توقيعها على من يخترق التعاليم الدينية. وكذلك تحدد روابط القرابة وبخاصة فى المجتمعات البدائية الحقوق والواجبات والالتزامات التى يجب أن تقوم بين أعضاء الجماعة القرابية مما يساعد على تماسكها وعلى استمرار العلاقات القرابية بين هؤلاء الأعضاء، وكذلك تعتبر الحكومة فى المجتمعات المعاصرة بكل تنظيماتها المعقدة من إدارية وتنفيذية وتشريعية عاملاً من عوامل الضبط الاجتماعى[1].

وقد أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية أن الضوابط الاجتماعية فى المجتمعات البدائية تنشأ بصفة تلقائية من عدة دعامات وركائز تنظيمية. وتبرز مصادرها الاجتماعية فى سلطة الرقابة الجماعية التى تنبثق أحيانا عن العصبية القبلية أو العشائرية أو قرابة الدم أو الولاية والتبنى والتحالف والمصاهرة، وقد تنبثق عن مصدر غيبى سحرى أو دينى أو روحى، وقد تكون ضرورة لازمة لمساندة بعض الأنشطة الاجتماعية الحياتية أو التى قد تتصل بالحياة الاقتصادية أو السياسية للجماعة. ويمكن القول إن الضوابط الاجتماعية التلقائية السائدة فى المجتمعات البدائية تبدو عامة غير متخصصة، حيث يصعب التمييز بين التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لعدم وضوح المقدمات الأساسية لهذه التنظيمات. وبالرغم من الاعتراف بأهمية هذه الحقيقة، لكن يجب التأكيد على أنه متى يقوم تنظيم اجتماعى، لابد وأن يسانده مجموعة من الضوابط والرقابة التى تتمثل فى أدنى صورها فى الطرق الشعبية والعادات

الجمعية والتقاليد الجماعية والأعراف والآداب العامة، وتمثل هذه النظم نوعا من الضغط الاجتماعى على سلوك الأفراد والجماعات[٢].

ولما كان المجتمع السيناتى يجمع بين خصائص المجتمعات البدوية والمعاصرة، لذا تنوعت الضوابط الاجتماعية داخله. فهناك مزيج بين الضوابط غير الرسمية المتمثلة فى العادات والتقاليد والأعراف المتبعة والضوابط الرسمية المتمثلة فى سلطة الدولة من خلال أجهزتها الرقابية المتعددة. وقد جمع المجتمع السيناتى أيضا بين وسائل الضبط الاجتماعى الإلزامية أو القهرية خلال فترات الاحتلال ووسائل الضبط العادية فى عهد التحرير وإزالة آثار العدوان. وخلال هذه الفترات كان الرأى العام أداة أساسية من أدوات الضبط الاجتماعى فى مجتمع شمال سيناء.

ثانيا: المفهومات الأساسية.

١- الضبط الاجتماعى Social Control.

يستخدم علماء الإجتماع كلمة «الضبط الاجتماعى» بمعنى واسع وشامل لوصف كل الوسائل والأساليب التى تستخدمها الجماعة لتحقيق النظام فى المجتمع. وقد رأى كل من «روس» و «كولى» أن الضبط الاجتماعى يشير إلى معانى الإرشاد والإشراف والتوجيه[٣]. والضبط الاجتماعى عند «روس» يهتم بالسيطرة المقصودة، ويؤدى وظيفة فى حياة المجتمع. وعندما وصف «روس» الضبط الاجتماعى فى كتابه، فقد استرشد بأشكال الضمير الجمعى عند دوركايم مثل الرأى العام والقانون والأنساق العقائدية والتربية والعرف والدين والفن والشخصية. وقد رأى «توماس» W.L.Thomas أن الضبط الاجتماعى يبرز من خلال الأفعال النمطية الجديدة للإنسان وقدرته على خلق أنماط جديدة باعتبار أنه فى حاجة إليها. أما «بارك» Park فقد اهتم بتحول دور الوسائل الأولية للضبط – الأسرة والجار والمجتمع المحلى إلى الوسائل الثانوية ممثلة فى الشرطة والصحافة والجهاز السياسى والمحاكمة[٤].

والضبط الاجتماعى عند «جورفيتش» Gurvitch هو مجموع الأنماط الثقافية والرموز الاجتماعية والمعانى الجماعية والقيم والأفكار والمثل، وكذلك الأفعال والعمليات التى تتضمنها ويستخدمها أى مجتمع، ويستطيع بواسطتها التغلب على مختلف أنواع التوتر وإعادة التوازن إلى الجماعة(٥).

ونظراً لتعدد أنواع الضبط الاجتماعى واختلاف المنظورات السوسيولوجية التى تناولته، لكن يمكن تحديد مفهوم الضبط الاجتماعى فى هذه الدراسة، بانه «مزيج من الضوابط الرسمية المتمثلة فى العادات والتقاليد والأعراف المتبعة والضوابط الرسمية المتمثلة فى سلطة الدولة من خلال أجهزتها الرقابية المتعددة». ولما كانت هذه الضوابط تعد عاملاً أساسياً فى تشكيل الرأى العام بمجتمع شمال سيناء فقد اعتبر الرأى العام الأداة الأساسية فى عملية ضبط وتوجيه السلوك فى هذه الدراسة.

٢- وسائل الضبط الاجتماعى.

قسمت دائرة معارف العلوم الاجتماعية وسائل الضبط الاجتماعى إلى ثلاث فئات رئيسية هى وسائل فيزيقية ومادية ورمزية. ويستخدم الجلد أو الحبس فى الوسائل الفيزيقية، ويبرز تأثيره على الجسم. أما الوسائل المادية، فتتركز فى المكافآت المادية التى تتضمن السلع والخدمات. وتبرز الوسائل الرمزية فى الرموز المعيارية مثل المكانة والتقدير والرموز الاجتماعية المعيارية مثل الحب والتوافق(٦).

وتختلف وسائل الضبط من مجتمع لآخر، حيث تتوقف هذه الوسائل إلى حد كبير على طبيعة المجتمع ذاته وظروفه الخاصة ونوع الثقافة السائدة. ومايعتبر وسيلة ناجحة فى أحد المجتمعات قد لايكون كذلك فى مجتمع آخر. وتختلف فاعلية وسائل الضبط فى المجتمع الواحد تبعا للتغيرات التى تطرأ على التنظيم الاجتماعى وعلى نسق القيم. ويميز العلماء بين وسائل الضبط التى تعتمد

على القسر والقهر ووسائل الضبط التي تعتمد على المناقشة والإقناع والتوجيه[٧].

وتزداد أهمية وسائل الضبط الاجتماعي ويقوى الشعور بالحاجة إليها كلما تعقد المجتمع وتداخلت أوجه نشاطه. ولذلك ترتبط وسائل الضبط في الجماعات المتقدمة حضاريا بالعمليات الاجتماعية التي يطلق عليها بالأساليب الفنية للإدارة أو التنظيم الاجتماعي. وتتصل هذه الأساليب بالنواحي الاقتصادية والسياسية والنظم الإدارية والتربوية. وتتداخل هذه الجوانب من أجل استمرار النظام الاجتماعي وبقاء فاعليته[٨]. ولما كان مجتمع سيناء يجمع بين الوسائل التقليدية والحديثة في عملية الضبط الاجتماعي. فقد تعددت وسائل الضبط في هذه الدراسة، وتضم قادة الرأى لتعبر عن فاعلية الوسائل التقليدية وتؤكد على دور الاتصال الشخصي في ضبط وتوجيه سلوك وآراء الأفراد، وكذلك تجمع هذه الدراسة بين الوسائل الحديثة من خلال إبراز دور التنظيمات الحزبية ووسائل الإعلام في ممارسة الضبط الاجتماعي. وعلاوة على الوسائل التقليدية والحديثة رأى الباحث أن سيناء تعد منطقة متميزة،ولم تقتصر فيها وسائل الضبط على الوسيلتين السابقتين فقط، وإنما برز دور الإحتلال الإسرائيلي أيضا في هذه العملية، ولذلك سوف نتناول هذه القضية أيضا.

٣- الرأى العام. Public Opinion

بالرغم من الاختلافات حول تحديد مصطلح «الرأى العام»، لكن يتفق دراسي الرأى العام عموما على الأقل بأنه «جمع من آراء أفراد حول قضية تهم الجمهور. وعادة ينظر إلى هذه الآراء بإمكانية ممارسة التأثير في سلوك الفرد والجماعة وسياسة الحكومة». وقد اهتم بدراسة الرأى العام كل من السوسيولوجيين والمنظرين السياسيين وعلماء النفس الاجتماعي والتاريخيين[٩].

وقد اتفق كثير من علماء الاجتماع على وجود ظاهرة نفسية تتميز بها

الجماهير الشعبية، ويتشكل بها السلوك الجماعى بصورة عامة وتتحدد وفقها الضوابط والتنظيمات الاجتماعية، وهى ظاهرة تلقائية يطلق عليها عقل الجماعة أو الضمير الجمعى. ويرى كثير من علماء الاجتماع أن «الرأى العام» يعتبر المصدر الأول للضبط الاجتماعى، باعتبار أنه القوة التى يعتمد عليها ويستند إليها، وخاصة فى الجماعات المتقدمة. والرأى العام هو أشبه مايكون بالإرادة العامة كما يقول «لويلى» J.R.Lowell ولكن لايحس به الأفراد لأن وجوده معنوى. والرأى العام هو المنبع الذى تصدر منه أحكام الجماهير، كما أنه القوة التى تؤثر فى العلاقات الاجتماعية، بل فى الحياة السياسية والاهتمامات الاقتصادية والقيم والمعايير الفنية[١٠].

ولاتقتصر فاعلية الرأى العام فى المجالات الاقتصادية والسياسية فحسب، وإنما يمتد أبعد من ذلك. فهو يدل على الرضا العام Consensus أو الرأى الجامع، والذى ينشأ تلقائياً كجزء لايتجزأ من التكوين الثقافى والحضارى للجماعة، وهو مايطلق عليه بالرأى العام المستقر، فهو يصدر عن مجموعة القيم والمثل والنماذج الثقافية والعقائدية التى انتقلت عبر الأجيال المتعاقبة وأسهمت فى بلورته على نحو يضمن استقراره وثباته إلى درجة يصبح معها مصدراً شفافا يعكس تقاليد الجماعة وعرفها وتشريعاتها ويصبح قوة ضابطة فعالة لسلوك أفراد الجماعة ومواقفهم. وتبدو قوة الرأى العام وسطوته أيضا فى المجالات الداخلية، فهو يساند العادات والاتجاهات الشعبية فى القواعد الاجتماعية المتبعة[١١].

والرأى العام فى هذه الدراسة يمثل عاملاً أساسياً فى ضبط وتوجيه سلوك وآراء الأفراد. ويخضع فى تكوينه إلى مجموعة القواعد والأعراف والمعايير الأخلاقية التى يلتزم بها أعضاء المجتمع، علاوة على الوسائل والأجهزة الرسمية للدولة مثل التنظيمات الحزبية ووسائل الإعلام. إذن فالرأى العام يقصد به هنا «مجموعة القواعد الرسمية وغير الرسمية التى تنظم حياة الأفراد، وتمارس تأثيرها فى ضبط وتوجيه سلوك وآراء المواطنين».

ثالثا: الإجراءات المنهجية للدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة فى إجرائتها المنهجية على استخدام المنهج الأنثروبولوجى، حيث يهتم هذا المنهج باجراء البحوث المركزة على جماعات صغيرة محدودة الحجم والمساحة. ويستمر البحث الميدانى نفسه فترة طويلة من الزمن تستغرق بضعة شهور، وقد تمتد إلى عام أو أكثر. ويلجأ فيها الباحث إلى طريقة الملاحظة المباشرة والمشاركة ومعايشة الأهالى أنفسهم ومشاركتهم فى كثير من مظاهر النشاط اليومى لضمان الإحاطة بكافة الجوانب الاجتماعية والثقافية السائدة فى تلك المجتمعات المحلية أو الجماعات القبلية المختارة، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الاثنوجرافية عن مختلف مظاهر الحياة فى منطقة الدراسة(١٢).

ويهتم موضوع البحث بدراسة مجتمع شمال سيناء الذى يضم مجموعة من القبائل المنتشرة فى الصحارى، علاوة على مجموعات من سكان المدن. إذ يبلغ عدد السكان ١٧١,٥٠٠ نسمة (حسب إحصاء ١٩٨٦ التابع للجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء). وتنقسم محافظة شمال سيناء إداريا إلى ستة مراكز تقوم حول ست مدن رئيسية هى العريش (العاصمة) والشيخ زويد ورفح وبئر العبد والحسنة ونخل . ويتبع كل مركز من هذه المراكز (باستثناء العريش) عدد من القرى الرئيسية التى يلحق بكل منها عدد من التوابع التى هى أقرب فى العادة إلى التجمعات السكنية الصغيرة أو النجوع أو الكفور(١٣) وعندما ما اتيحيت للباحث – صاحب هذه الدراسة الاشتراك فى بحث «المجتمعات الصحراوية فى مصر – شمال سيناء» سنة ١٩٨٨ الذى قام باجرائه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تحت إشراف ورئاسة الأستاذ الدكتور/ أحمد أبو زيد، فقد تناول الباحث خلال اشتراكه فى هذا البحث الاهتمام بجمع البيانات الميدانية الخاصة بقضية الرأى العام والضبط الاجتماعى.

وقد استخدم الباحث أدوات المنهج الأنثروبولوجى خلال مرحلة جمع

البيانات التى استغرقت ستة شهور فى مناطق الدراسة، حيث قام بالاشتراك مع فريق البحث المشار إليه بدراسة مسحية لمنطقة شمال سيناء، اعتمد فيها الباحث على الملاحظة بالمشاركة فى جمع البيانات. وتتلخص هذه الطريقة فى «محاولة الباحث الاشتراك فى الأنشطة الاجتماعية المتنوعة التى يقوم بها أعضاء الجماعة الاجتماعية -موضوع الدراسة - بقدر ماتسمح الظروف والتقاليد»(١٤). فمن خلال المشاركة فى المناسبات الاجتماعية والطقوس وزيارة مندتيات الشبان ووحدات الإنتاج يستطيع الباحث الأنثروبولوجى أن يحصل على الكثير من المعلومات الحقيقية عن العلاقات القرابية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع موضوع الدراسة(١٥).

ونظراً لأهمية دور الإخباريين فى جمع البيانات الميدانية فى هذه المجتمعات الصحروية، فقد استعان الباحث بمجموعة من الإخباريين فى مناطق الدراسة. «فالاخبارى هو الشخص الذى يعرف بحكم وضعه فى المجتمع - أيا كان هذا الوضع رسميا أو غير رسمى - قدرا من البيانات التى تفيد البحث، أو الذى يمكنه التقريب بين الباحث والمجتمع الذى سوف يدرسه بأى صورة من الصور، أو يساعده فى التعرف على من هم أكثر معرفة بأمور المجتمع»(١٦).

أما عن أداة جمع البيانات، فقد استخدم الباحث «دليل المقابلة» - الذى أعده الدكتور أحمد أبو زيد-، وتركز محاوره الأساسية حول قضيتين أساسيتين، وتفرعت منهما مجموعة من القضايا الفرعية، وهما(١٧):

أولا: أساليب تشكيل وتعبئة الرأى العام بمنطقة البحث.

١- العلاقة بين رجال الإدارة والسياسة والقادة القبليين والتقليديين.

٢- التنظيمات الحزبية فى المجتمع المحلى والانتماء إليها والوعى ببرامجها والدعاية لها والإيمان برسالتها.

٣- توجيه الرأى العام - دور القادة المحليين التقليديين والأساليب التى يتبعونها

فى ذلك، وهل يعبرون عن رأى الحكومة أو الحزب أو أنهم يدافعون عن قضايا خاصة بالمجتمع المحلى.

٤- الدور السياسى الذى يقوم به القادة.

٥- أثر العزلة الجغرافية فى تكوين رأى عام مستقل ومتميز أو معاد أو متحيز، والموقف من مشكلة الانتماء القبلى والمحلى والقومى والعربى والإسلامى.

ثانيا: أجهزة تشكيل الرأى العام فى منطقة البحث.

١- دور القادة القبليين ومحاولات الاستعانة بهم اجتماعيا وثقافيا ودينيا.

٢- التنظيمات السياسية الحزبية.

٣- المراكز الإعلامية المنتشرة فى المحافظة.

٤- الإذاعات المحلية والقومية والأجنبية ومدى الإقبال عليها والثقة فى برامجها والنقد الموجه إليها.

٥- الصحف والمجلات ومدى انتشارها وتداولها والموضوعات التى يهتم بها القراء فى المجتمع.

٦- التجمعات والتنظيمات الشبابية والطلابية والنسائية والعمالية.

٧- إطلاق الشائعات ومدى الوعى بخطورتها والشك فيها والقدرة على تقويمها وتقبلها أو رفضها.

رابعاً: أهداف الدراسة.

ينتمى هذا البحث إلى الدراسات الوصفية، حيث نحاول وصف وتحليل وسائل تشكيل الرأى العام فى مجتمع شمال سيناء، باعتبار أن هذه الوسائل تعتبر أدوات أساسية فى عملية الضبط الاجتماعى. ويمكن صياغة الفرض الرئيسى الذى قامت عليه الدراسة على النحو التالى:

«يجمع مجتمع شمال سيناء بين خصائص المجتمعات البدوية والمعاصرة،

وتعددت فيه وسائل تشكيل الرأى العام بين طرق رسمية وأخرى غير رسمية، علاوة على وجود وسائل أخرى خارجية. فإلى أى مدى تعتبر هذه الوسائل بمثابة أدوات رئيسية فى عملية الضبط الاجتماعى بمنطقة شمال سيناء». وللإجابة على هذا التساؤل الرئيسى يتطلب تحقيق مجموعة من الأهداف الفرعية الأخرى التى يحاول البحث تحقيقها هى:

١-ماهى العلاقة بين الضبط الاجتماعى والرأى العام؟.

٢- دور قادة الرأى فى عملية الضبط الاجتماعى.

٣-دور التنظيمات الحزبية فى عملية الضبط.

٤- دور وسائل الإعلام فى عملية الضبط.

٥-أثر العزلة الجغرافية والاحتلال فى عملية الضبط.

خامسا: العلاقة بين الضبط الاجتماعى والرأى العام.

يخطىء من يعتقد أن الضبط الاجتماعى يتركز فقط فى أيدى رجال الشرطة والقضاة وماشابه ذلك فقط،فقد أظهرت كثير من المجتمعات الصغيرة طاعة حسنة للقانون بدون اللجوء إلى المكاتب القانونية.[١٨] وقد ذهب «لانديس» إلى التأكيد على أنه بالرغم من أن المجتمع الإنسانى قد أصبح أكثر تعقيدا وتشعبا، فإن وسائل الضبط غير الرسمية وغير النظامية لم تقل أهميتها، بل ربما زاد تأثيرها. كما أن الجماعات الصغيرة تعرف بدورها وسائل الضبط النظامية ذات الطابع الرسمى بدون وجود الأجهزة المتكاملة أو الهيئات المتخصصة[١٩].

ولقد أكد «جورج هومانز» على أن وسائل الضبط الاجتماعى فى أى مجتمع تعتبر نتاجاً لتنظيم الحياة الاجتماعية ذاتها، حيث يتوقف حجم المجتمع وعزلته النسبية عن المجتمع الكبير فى تحديد نمط التفاعل. ويعتبر الرأى العام هو

المصدر الأول للضبط الاجتماعى، باعتبار أنه القوة التى يُعتمد عليها ويستند إليها. فهو أشبه مايكون بالإرادة العامة كما يقول «لويل» J.R.Lowell، ولكن لايحس به الأفراد لأن وجوده معنوى. والرأى العام هو رغبة تنتاب أعضاء المجتمع تتسم بالديمومة، وتتمثل وظيفتها الاجتماعية فى المحافظة على الكيان الاجتماعى للجماعة ودرء مايهدد تنظيماتها وقيمها(٢٠).

وتظهر الوظيفة الضابطة للرأى العام، إذا نظرنا إليه على أنه مصدر التشريعات والتقنينات الضابطة فى المجتمعات الديمقراطية. ففى ظل النظام الديمقراطى تصدر القوانين تعبيرا عن رغبات الرأى العام وتحقيقا فعليا للإرادة الجماعية وضمانا للنظم والتنظيمات الاجتماعية. ويتمثل الرأى العام ويتحدد فى الجماعات عن طريق الهيئات النيابية التى تتألف من ممثلين للشعب ينطقون باسمه ويعلنون رأيه وإرادته. ولاتستطيع القوة وحدها أن تحمى النظام الاجتماعى، فهى تعجز – إذا لم يساندها الرأى العام – عن ضمان احتفاظ الضوابط الاجتماعية بفاعليتها الإيجابية. وتظهر هذه الحالات التى تفرض فيها القوانين بالقوة ضد مشيئة الرأى العام بشكل واضح فى أحوال غير عادية، مثل فرض قواعد ونظم جديدة من حكام الشعوب المغلوبة على أمرها فى المستعمرات أو الالتجاء إلى مظاهر القهر الجماعى، لتدعيم نظم انقلابية أو ثورات اجتماعية لم تكن الجماعة أو بعض هيئاتها مهيأة لقبولها. وكلما استخدمت القوة ضد اتجاهات الرأى العام الغالبة، أدت إلى خلق المقاومة وازدياد الحاجة إلى استخدام مزيد من القوة(٢١).

وتظهر أهمية الرأى العام كوسيلة للضبط الاجتماعى فى رعايته ودفاعه عن المثل الاجتماعية والمبادىء والمفاهيم الخلقية والنماذج العرفية والقيم التقليدية للجماعة. فهو القوة التى تساند هذه الأدوات الضابطة والقواعد التنظيمية لعلاقات الأفراد الاجتماعية. ويسهم الرأى العام فى خلق المثل والفضائل الاجتماعية مثل «المشاركة الوجدانية» التى قدتحمل بعض

الجماعات على مؤازرة جماعة أخرى ترتبط معها بروابط وحدة اللغة أو العقيدة أو المكانة الاجتماعية والسياسية فى المجالات الدولية. وفى الوقت نفسه تعادى أو تعارض أو تقاوم التيارات الثقافية المستوردة من جماعات تختلف عنها فى نماذجها الثقافية أو العقائدية[٢٢].

وقد أكد كثير من علماء الاجتماع على أهمية الرأى العام باعتباره مصدراً أساسيا فى عملية الضبط الاجتماعى. فقد وجد «روسو» فى الرأى العام مجموعة من الخصائص الإيجابية التى تجعله أداة هامة من أدوات الضبط الاجتماعى. ولعل أبرز هذه الخصائص مايلى[٢٣]:

١- يمارس الرأى العام تأثيره على نطاق واسع، وهو بذلك يكمل الوظائف التى يقوم بها القانون.

٢- أنه أقل آلية من القانون، فهو يضع فى اعتباره تغير الظروف كالمكان والزمان والدافع.

٣- يقوم الرأى العام بحماية السلام الاجتماعى عن طريق فرض المطالب الخلقية التى قد لايجرؤ القانون على فرضها.

٤- أنه يتميز بالمرونة التى قد لاتتوافر فى القانون.

٥- يتميز الرأى العام بأنه مباشر وسريع بعكس الحال بالنسبة لكثير من وسائل الضبط الأخرى، إذ أنها تتميز بالبطء.[٢٤]

وتأتى أهمية الرأى العام باعتباره أداة من أدوات الضبط الاجتماعى نظراً للتأثير الذى يمارسه فى المجال السياسى والاجتماعى. وفى المجال السياسى يؤدى الرأى العام وظيفة هامة وهى مساندة بعض الحكام وإسقاط بعضهم. وفى المجال الاجتماعى يلعب الرأى العام دوراً أساسياً فى رعاية المثل والقيم والمبادىء الأخلاقية، لأنه يوجه اللوم والتحقير لبعض الناس. وعلاوة على ذلك يؤدى الرأى العام دورا هاماً فى المحافظة على التراث والعادات والتقاليد المتوارثة فى المجتمع[٢٥].

سادسا: وسائل الضبط الاجتماعى فى المجتمع السينائى.

الرأى العام فى أى مجتمع لايأتى حراً فى تكوينه، وانما يخضع إلى مجموعة عوامل تؤثر فى تكوينه مثل تأثير القادة والزعماء والأحزاب السياسية، فضلا عن الدور الذى تمارسه وسائل الإعلام فى هذا المجال. وبالرغم من تشابك هذه العوامل وتداخلها، إلا أنها تتفاوت فى أهميتها ودورها فى تشكيل الرأى العام. فالنظام السياسى مهما اختلف خطه الفكرى. فإنه يلعب دورا هاما فى تكوين الرأى العام، وذلك لأن المواطن يقع تحت الهيمنة الكاملة للأيديولوجية المسيطرة فى النظام السياسى. أما الزعيم أو القائد، فيلعب أيضا دورا هاما فى حياة الناس. وبالرغم من أن هذا الدور بدأ يتلاشى فى المجتمعات المتقدمة، لكنه يزداد نموا فى الدول النامية، حيث يجسد دور الزعيم فى هذه الدول الملامح الأساسية لمواطنيه. وبالنسبة لدور التنظيمات الحزبية فى تشكيل الرأى العام، نجد أنها تمارس دوراً هاماً فى هذه العملية، خاصة إذا كانت قائمة على أساس ديمقراطى. وأخيراً وعن وسائل الإعلام، فقد يلاحظ أن أجهزة الإعلام تشكل فى أغلب النظم قنوات اتصال بين الحكومة والرأى العام، وذلك لعرض سياستها ومشروعاتها. وهى بذلك تدفع المواطن من حيث لايدرى إلى تكوين رأى عام يصب فى الأهداف التى تطمح إلى تنفيذها[٢٦].

ولما كانت هذه الدراسة تتركز فى بحث مدى اعتبار الرأى العام أداة من أدوات الضبط الاجتماعى، فأحرى بنا أن نبحث عن وسائل تشكيل الرأى العام فى المجتمع السينائى باعتبارها أدوات أساسية من أدوات الضبط. وهذا يجعلنا نتعرض لدور قادة الرأى لما يمثلونه من عنصر أساسى فى المجتمع السينائى. ونتناول أيضا دور التنظيمات الحزبية، وذلك لأنها تنشأ على أساس ديمقراطى تفرضه الإرادة القبلية، وأخيرا نتعرض لوسائل الإعلام المحلية والقومية والعالمية، لما لها من دور فعال فى هذا المجال.

١- قادة الرأى.

يوجد ارتباط وثيق بين دراسة موضوع قادة الرأى وعملية تشكيل الرأى العام، حيث تعد الأخيرة عملية اجتماعية واتصالية تنطوى على تفاعل اجتماعى بين الآراء من خلال المناقشة الجدلية الحرة والعلنية لوجهات النظر المختلفة. ولذلك تلعب الشبكات الشخصية والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد دورا هاما فى هذا الصدد. وقد أكدت عديد من الدراسات على أن جماعات العمل أو الجيرة أو الأسرة قد تساعد أو تعرقل تبنى رأى ما أو قبول فكرة معينة لدى الفرد. ومن هنا يبرز دور مايسمى بالجماعة المرجعية أو قادة الرأى(٢٧).

وقد أشارت الدراسات الأمريكية إلى أهمية الاتصالات الشخصية وتفوقها فى التأثير على وسائل الإعلام، حيث يمتاز قائد الرأى بشدة تمسكه بمعايير الجماعة، وزيادة تعرضه لوسائل الإعلام. كما لابد لقائد الرأى أن يكون على صلة وثيقة بالأشخاص الذى ينقل المعلومات إليهم. ويلجأ الناس إلى قادة الرأى عندما لاتتفق الأفكار والمعلومات المعروضة عليهم مع أفكارهم ومعتقداتهم(٢٨). وبالإضافة إلى ذلك يلعب قائد الرأى دورا هاما فى تقديم أفكار جديدة للجماعة تكون محوراً للنقاش بينهم. فقائد الرأى يمثل حلقة اتصال مستمرة بالجماعات الأخرى لتعريفها بأعماله واقتباس أفكار جديدة، والعمل على إيجاد الجو الاجتماعى الذى يساعد على تماسك أفراد الجماعة، وتقديم أعمال الجماعة باستمرار بطريقة موضوعية(٢٩).

ومن خلال الخصائص التى يكتسبها قادة الرأى، فقد يكونوا وسيلة هامة فى تنظيم الجماعة وضبط سلوك أفرادها. وغالبا مايشار إلى الشخص الذى يشغل مركز معين مثل منصب رئيس قسم مثلا بأنه قائد رأى رسمى Formal Leader. وقد اكتسب هذه الصفة من خلال القوة الخاصة التى منحها له مركزه الوظيفى. وليس بالضرورة أن يكون الشخص قائد الرأى فى أحد الميادين يشغل الوظيفة ذاتها فى ميادين أخرى. كابتن كرة القدم ليس بالضرورة أن يكون أحسن طالب(٣٠).

ولايقتصر مفهوم قائد الرأى على الشخص الذى يشغل مركزاً وظيفياً

معيناً فقط، إنما تمتد لتشمل أشخاص معينين لديهم القدرة على التأثير بصورة غير رسمية فى اتجاهات الأفراد الآخرين أو فى سلوكهم الظاهر بصورة مطلوبة ومتكررة فى موقف اختيارى(٣١). وقد يكون من بين هؤلاء أشخاص لهم منزلة اجتماعية معينة لدى الجماعة التى ينتمون إليها، أو يتمتعون بمستوى تعليمى أو ثقافى معين، أو قد يكونوا من كبار السن. وفى هذه الحالة يطلق على الشخص الذى يتمتع بخاصية من الخصائص السابقة، ويبرز تأثيره فى الجماعة التى ينتمى إليها بأنه قائد رأى غير رسمى Informal Leader.

ويمارس الدين أيضا دورا هاما فى حياة قادة الرأى، فالتقوى والصلاح والانتظام فى صلاة الجماعة داخل المسجد من دواعى مكانة القائد فى القرية واحترامه. وبذلك صار المسجد أكثر الأماكن أهمية داخل القرى كوسيلة لأداء الشعائر الدينية ووسيلة للقاء الأهالى مع قادة الرأى العام(٣٢).

ونظرا لطبيعة المجتمع السينائى الخاصة فإنه يتميز بتقديس العادات والتقاليد التى تلزم الأفراد باحترام كبير السن، أو الشخص الذى يثقون فيه، وربما يكون هذا الشخص شيخ القبيلة، أو يشغل منصباً سياسياً معيناً، أو نال قسطاً عالياً من التعليم، أو يتمتع بمنزلة دينية معينة فى المجتمع. وربما تبدو سيطرة قادة الرأى على أفكار واتجاهات المواطنين بطريقة واضحة. ويحدث ذلك بالفعل عند ترشيح القبيلة أحد أفرادها لعضوية المجالس النيابية، أو فض المنازعات بين القبائل، أو قيادة الجماهير لعصيان أو تمرد. ويحكى صيادا من قرية التلول بمركز بئر العبد واقعة تؤكد ذلك قائلا: «عندما قام أحد أفراد حرس الحدود بإطلاق النار على أحد الصيادين، والذى لقى مصرعه فى الحال نتيجة انحراف قاربه تجاه مكان معين بين البحر والبحيرة - بحيرة البردويل - فكانت هذه المنطقة بالذات مثار خلاف وجدل بين الصيادين وحرس الحدود. ونتيجة لمقتل هذا الصياد، اجتمع رؤساء القبائل بالصيادين، وقرروا الإضراب نهائيا عن العمل حتى يتم حل هذه المشكلة. وبالفعل تم عقد اجتماع بين أعضاء

المجلس المحلى بالمحافظ ومندوبين من الصيادين ورؤساء القبائل وحرس الحدود، وتمت إزالة المعوقات المفروضة أمام دخول الصيادين منطقة النزاع، وأصدر رؤساء القبائل أوامرهم للصيادين بالعودة إلى العمل».

ولايقتصر تمثيل قادة الرأى فى المجتمع السينائى على كبار السن أو مشايخ القبائل أو الأعيان، ولكن برزت فئة جديدة من القادة وهم فئة المثقفين وأصحاب التعليم العالى، وشاغلى المراكز الوظيفية العليا فى الحكومة. ويبرز دور هذه الفئة من القادة فى الأزمات السياسية، أو خلال مناقشة قضايا سياسية محل جدل وحوار. فهؤلاء القادة لديهم المقدرة على إقناع الآخرين بآرائهم وأفكارهم، وبالتالى يستطيعون ضبط وتوجيه سلوك وآراء الجماعة التى ينتمون إليها.

وإذا حاولنا التعرف على الوسائل التى تجعل قائد الرأى موجها وضابطاً لآراء وسلوك أفراد الجماعة التى ينتمى إليها، نجد بداية أن القائد يعمل جاهداً على إحداث التوازن بين أعضاء جماعته. فالقائد لايعطى أوامر يستحيل تنفيذها. فإذا اعطى أمراً فإنه يتوقع أنه سوف ينفذ فالقائد يجب أن يحافظ على مركزه. وتتمثل منزلته الاجتماعية فى الاعتماد المتبادل بين منزلته وسلطته فى قراراته. فهو عندما يعطى أوامر لاتطاع، فبالتالى تضعف منزلته، وحينئذ تضعف جرأته فى إصدار أوامر لجماعته فى المستقبل وقد لوحظ ذلك فى إدلاء المواطنين بأصواتهم خلال الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٨٤، حيث برزت أهمية قادة الرأى فى هذه الانتخابات، خاصة فى منطقة الشيخ زويد (٣٣).

وعلى جانب آخر يكتسب قادة الرأى قدرتهم فى الإقناع والتأثير نتيجة أنهم أكثر عرضة لوسائل الاتصال الجماهيرى بكل أنواعها من أتباع الرأى Opinion Folowers أو التابعين لآراء غيرهم. فهم يستمعون أكثر من غيرهم إلى برامج إذاعية مختلفة، ويقرأون الصحف والمجلات، بالاضافة إلى أن حديث قادة الرأى يختلف قوة تأثيره عن الاستماع أو القراءة فى مظهرين أساسيين

هما[٣٤]:

١- إنك تستطيع أن تطفىء المذياع أو تطرح بالجريدة أو المجلة جانبا إذ لم يعجبك ماتسمعه أو تقرؤه، ولكنك لاتتمكن من أن تفعل ذلك بسهولة إذا كنت تتحدث مع أناس آخرين.

٢- تختلف وسائل الاتصال الرسمية عن الحديث المباشر في مسألة أخرى وهي أنك لاتستطيع أن تعترض البرنامج الموجه من وسائل الاتصال الرسمية أو ترد على رسالة إعلامية رداً مباشراً وبالسهولة نفسها التي نلاحظها في الرد على الحديث المباشر ويؤكد ذلك صعوبة متابعة المسئولين رجع الصدى بشأن بعض الحملات القومية التي تقوم بها وسائل الإعلام، بينما يسهل ذلك أثناء الندوات الجماهيرية والمؤتمرات الشعبية.

ونخلص مما سبق أن قادة الرأى من خلال مايتميزون به من انتشار داخل أعضاء المجتمع، وانتمائهم إلى طبقات متعددة، وجماعات الجوار والأصدقاء. فمن هنا يكون تأثيرهم سهلا ومقبولا على أعضائهم، وبالتالى يتحكمون فى توجيه وضبط آرائهم وسلوكهم.

٢- التنظيمات الحزبية.

من الحقائق المؤكدة فى عصرنا الراهن أن الأفراد وهم فرادى لايستطيعون مقاومة الهيئات الحكومية أو الوقوف فى وجهها إذا ما أرادت أن تستبد أو أن تتعسف فى استعمال سلطتها، وأن التكتلات أقدر منهم فى هذا المجال. فالأحزاب السياسية تقوم بهذا الدور فى العصر الحديث سواء كانت فى الحكم أو المعارضة، وتستطيع مراقبة ومحاسبة الهيئات الحاكمة من خلال مناقشة سياسة الحكومة وإظهار مواقع الخطأ فيها من أجل إثارة الرأى العام ضدها. وعلاوة على ذلك تقوم الأحزاب بدور هام فى توعية الشعب وتثقيفه سياسياً،

فحينئذ يتم تشكيل المكاتب السياسية بالمحافظة والمراكز والقرى. وعلى هذا الأساس تكون ترشيحات المجالس المحلية ومجلس الشعب والشورى. ويكمن الهدف من وراء هذه العملية هو ضمان حصول هذه الترشيحات على أكبر قدر ممكن من الأصوات إذا عرضت فى استفتاء جماهيرى.

ونستطيع أن نستشهد بأحد الأمثلة التى تم بواسطتها تشكيل المجلس الشعبى المحلى لمركز الحسنة. «فقد كان المطلوب انتخاب اثنين وخمسين عضوا على مستوى المركز، بحيث يتم تمثيل القبائل الخمس الكبرى مع الأخذ فى الاعتبار توزعها المكانى وقوتهم العددية. وهذه القبائل الخمس الموجودة فى المركز هى: الترابين والاحيوات والعيايدة والحويطات والتياها. ولكن اتباع مبدأى التوزيع المكانى والقوة العددية كان معناه أن تمثل الترابين وحدها بخمسة وثلاثين عضوا، بينما تمثل القبائل الأربع الأخرى بسبعة عشر عضوا فحسب. وهو أمر كان خليقا بأن يثير كثيرا من المشاكل والمتاعب والصراع، وحتى يمكن تجنب ذلك الوضع تم الاتفاق على أن يتم التمثيل بالتساوى بحيث تمثل كل قبيلة من القبائل الخمس بعشرة أعضاء ثم يتم تعيين العضوين الباقيين لشغل المقعدين الفرديين، وبذلك أمكن تحاشى النزاع أو الصراع المحتمل، وتحقيق نوع من التوزان فى داخل المركز، وإن كان فى ذلك خروج على المبادىء والقواعد المنظمة كعملية انتخاب أعضاء المجالس الشعبية المحلية»[٣٧].

ونستطيع أن نخلص مماسبق بأن السلطة القبلية هى القوة الأولى الملزمة فى ضبط سلوك الأفراد وتوجيه آرائهم فى المجتمع السينائى. وغالبا ماتفشل السلطة السياسية فى فرض أفراد معينيين أو أوضاع سياسية معينة لايرضى عنها أبناء البادية. ويمكن أن نؤكد ذلك بمثال واقعى، حيث فشلت حكومة الحزب الوطنى خلال انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٤ فى فرض المرشحين الذين ترغبهم. بينما استطاعت السلطة القبلية أن تنجح فى اختيار أفراد من القبائل

للترشيح . وقد حدثت هذه الواقعة في منطقة «الشيخ زويد» ، حيث لم يحصل الحزب الوطني من قبيلة «السواركة» سوى نسبة ضئيلة جداً من الأصوات، بينما حصل حزب الوفد المدعوم من السلطة القبلية على نسبة عالية جداً من الأصوات. وفاز حزب «الوفد الجديد» وقتها بمقعد في مجلس الشعب. ونستنتج من الواقعة السابقة أن التنظيمات القبلية تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في ضبط آراء مواطنيها، وأن السلطة السياسية تفشل فشلاً ذريعا إذا حاولت ممارسة هذا الدور دون الاعتماد على السلطة القبلية.

٣- وسائل الإعلام.

تلعب وسائل الإعلام دورا هاماً ومؤثراً في الجانب المعرفي للفرد، أي إعطاؤه معلومات جديدة تختلف عن معلوماته السابقة، وتغيير أو تعديل أو خلق صور ذهنية عنده عن الأحداث أو المواقف. ويبدو تأثير الرسالة الإعلامية واضحاً إذا كان مضمونها يتفق مع بعض جوانب شخصيته ودوافعه وقيمه، وتلعب وسائل الإعلام دوراً أساسياً في خلق وتكوين مايسمى «بيئة الرأى» ، لأن الناس يتحاشون العزلة الاجتماعية، فإنهم أكثر ميلاً للتعبير عن الآراء التي تؤيد مايدركون أنها آراء سائده أو شائعة بين الجماعة ويقمعون الآراء التي يرون أنها غير شائعة. وهذا يدعم بدوره رأى الأغلبية(٣٨).

وتمارس وسائل الإعلام تأثيرا بالغ الفعالية في خلق رأى عام فيما يتعلق بالقضايا الجديدة التي لايملك الفرد حيالها رأيا محددا، ويجهلها أصدقاؤه وزملاؤه في العمل أو الأسرة. ومن هنا تكمن فاعلية وسائل الإعلام في خلق مناخ من الرأى. وتبدو هذه الفاعلية بطريقة واضحة عندما لايملك الفرد أى مصدر آخر للمعلومات حول الموضوع المثار(٣٩).

وقد حاولت معظم الكتابات التمييز بين ثلاثة أهداف رئيسية للإعلام هى نقل وتوصيل المعلومات للآخرين، ومحاولة التأثير في آرائهم وأفكارهم ثم

الترفيه والتسلية وتمضية أوقات الفراغ، إلا أن هذه الأهداف الثلاثة تتشابك معا وتتفاعل ويكمل بعضها الآخر. وسواء كان محتوى العملية الإعلامية وهدفها هو الكشف عن أهم الإتجاهات والآراء والمواقف السائدة بالفعل فى المجتمع، أو إصدار تعليمات وتوجيهات تعبر عن سياسات وأيديولوجيات معينة تريد الدولة عن طريق أجهزة الإعلام نشرها بين الناس، وتغيير الآراء السائدة فعلاً بينهم، أو أن يكون المحتوى مادة ترفيهية يراد بها شغل أوقات الفراغ والتسلية والترويح، لكن فى النهاية يقوم جوهر العملية الإعلامية دائما على الاتصال[٤٠].

ولقد استطاع الإنسان أن يستفيد من وسائل الاتصال الحديثة فى تنظيماته الاجتماعية، حيث تعتمد كثير من أنشطة المجتمعات المعاصرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على وسائل الاتصال. وبالرغم من تعدد مجالات استخدامها – وسائل الاتصال – لكن يصعب استخدامها فى عملية الضبط الاجتماعى على كل المجتمع، نظراً لاختلاف الضبط من قرية يسكنها فلاحين عن مدينة معاصرة، ومن متجر فى بلد يتبع النظام القديم عن متجر لقسم كبير فى مدينة متروبولوبتة[٤١].

ولانندهش بأن وسائل الإعلام نظر إليها بعض الباحثين مثل «ميشيل بيتريك» Michael J.Petrick باعتبارها وسيلة لضبط السلوك الاجتماعى. وقد نمت هذه الوسيلة بطرق مختلفة، وبرز نفوذها فى المجتمع الأمريكى. فهناك ارتباط شديد بين البحث عن آليات وسائل الإعلام والضبط الاجتماعى. وقد حاولت وسائل الإعلام ممارسة دورها فى عملية الضبط من خلال تشجيع الأفعال الاجتماعية المفيدة ومحاربة الأفعال الاجتماعية الضارة[٤٢]. وقد فسر «بارسونز» كيفية تأثير وسائل الإعلام فى عملية الضبط الاجتماعى من خلال ماتقدمه، حيث تعرض أمام الفرد صورة خيالية عن المنحرف، وتترك للأفراد فى النهاية حرية اتخاذ موقف نقدى بالنسبة لما يشاهدونه. وتستطيع وسائل الإعلام ممارسة دورها فى هذا المجال من خلال تقديمها المادة الإعلامية بطريقة جذابة،

ومخاطبة الأفراد وفقا لمستوياتهم الثقافية[٤٣].

وتبدو صعوبة تصور دور حقيقى لوسائل الإعلام فى تأثيره فى خلق رأى عام يتسم بالفاعلية، وذلك لتميز النظم السياسية وديناميات الحياة السياسية فى المجتمعات النامية، ولكن هذا لايعنى إنكار الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام فى التأثير فى الرأى العام، ولكنها تعنى بخصوصية هذا الدور فى المجتمعات النامية. فهناك سلبيات تحيط باستخدام الرأى العام أداة من أدوات الضبط الاجتماعى، حيث يسعى النظام السياسى باستمرار الحصول على تأييد المواطن وكسب رضاه. وهنا تصبح وسائل الإعلام قناة الاتصال الوحيدة تقريبا بين المواطنين والنخبة السياسية. ومن هنا تأتى سيطرة النظام السياسى على وسائل الإعلام فتخرج منها الكلمة الواحدة والرأى الواحد[٤٤].

ويختلف تأثير وسائل الإعلام فى سلوك الفرد طبقا لنموذج المستمع أو القارىء، بل ويختلف هذا التأثير من حقبة زمنية إلى أخرى، ومن منطقة لأخرى. وإذا كنا بصدد دراسة استخدام وسائل الإعلام باعتبارها أداة من أدوات الضبط الاجتماعى فى شمال سيناء، فنجد بداية أن الرسالة الإعلامية فى سيناء، تهتم بالتركيز على الإعلام عن سيناء. وتهتم بالتأكيد على القيم الإيجابية والعادات البدوية، والدعوة لنبذ العادات التى تتنافى مع قيم المجتمع البدوى. وتركز الرسالة الإعلامية أيضا على مشروعات التنمية؛ وإلقاء الضوء على مشكلات المجتمع والعمل على حلها. وعلاوة على ذلك تقوم وسائل الإعلام بالرد على مايثيره وسائل الإعلام الأجنبية من معلومات غير صحيحة، حيث يؤدى الإعلام الداخلى فى سيناء فى هذا المجال دوراً متميزاً فى مجال التوعية وتبصير المواطنين بالمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولقد بدأت أولى طلائع الإعلام الداخلى فى منطقة شمال سيناء منذ عام ١٩٧٦ بمركز إعلام القنطرة شرق عقب مراحل فض الاشتباك الأولى. وفى

٢٥ مايو ١٩٧٩ انتشرت قوافل الإعلام الداخلى فى المنطقة حتى وصلت إلى خط العريش/ رأس محمد. ويمكن حصر وسائل الإعلام الداخلية بمحافظة شمال سيناء فى ثلاثة وسائل أساسية هى المجمع الإعلامي بالعريش، ومراكز الإعلام بالمحافظة، وإذاعة شمال سيناء، بالإضافة إلى وسائل الإعلام القومية.

أ- المجمع الإعلامى بالعريش.

يعد المجمع الإعلامى بالعريش أول مجمع نموذجى للإعلام على مستوى الجمهورية، حيث تم افتتاحه سنة ١٩٨٥، وهو مجمع متكامل يقدم الخدمة الإعلامية المتكاملة من أجل مصر وسيناء على وجه الخصوص. ويضم المجمع ناديا للطفل، تمارس فيه أنشطة قراءة الكتب الدينية، والقصص التاريخية، ومحاولة تعريف الأطفال بالإنجازات التى حققتها الدولة فى شمال سيناء بعد التحرير. ويهدف هذا النادى إلى غرس الانتماء فى الطفل، وإبراز دور الدولة فى تحقيق الأمن والتنمية. ويضم المجمع أيضا قاعة لمركز النيل تستخدم فى الدورات التدريبية والندوات الإعلامية وإلقاء المحاضرات، وعمل اللقاءات للتوعية الإعلامية فى كافة القضايا القومية والمحلية. ويقدم المركز خدماته للمدن والقرى من خلال قوافل مجهزة بسيارات يقوم بها أخصائى إعلامى يوزع مطبوعات عن الموقف السياسى للدولة. وإبراز النهضة الصناعية فى مصر والمعالم السياحية بها. وتبرز فاعلية هذه الأفلام من خلال تقديمها للمواطن البدوى بصورة جذابة، وبالتالى تكون عاملاً مؤثرا فى توجيه أفكار وسلوك المواطنين تجاه الدولة.

وعلاوة على ماسبق يضم المجمع الإعلامى قاعة لتعليم الكبار، وأخرى لكبار الزوار، ومركز صحفى دائم، ومركز دراسات عن سيناء، ومكتبة وقاعة للاطلاع، ونادي للمشاهدة الجماعية.

ب- مراكز الإعلام.

بدأت مراكز الإعلام عملها فور تحرير سيناء مباشرة. وقامت بالتغطية الإعلامية الكاملة فور دخول الإدارة المصرية المناطق المحررة. وحاولت هذه المراكز التأكيد على تماسك المجتمع، وحث الجماهير على المشاركة فى خطط التنمية. وقد عملت مراكز الإعلام منذ تأسيسها على غرس القيم الإيجابية فى المواطنين، ومحاولة التخلص من القيم السلبية التى تركها الاحتلال الإسرائيلى، ومحاولة إحساس المواطن بأن الإدارة المصرية حريصة على الاهتمام بالجوانب التعليمية والصحية والاقتصادية فى المنطقة[٤٥].

جـ- وسائل الاتصال الجماهيرى.

تبدو خطورة الدور الذى تمارسه وسائل الإعلام من خلال إمكانياتها المتعددة فى التأثير فى كل جوانب السلوك الإنسانى. فهى تقوم برسم صورة ذهنية لدى الأفراد عن الدول والمواقف والأحداث، فتؤثر بالتالى فى الطريقة التى يدرك بها الناس الأمور، والطريقة التى يفكرون بها. وبمعنى آخر تظهر وسائل الإعلام وهى تقوم بدور قمعى يتمثل فى تسييد آراء وأفكار أصحاب السلطة السياسية والاقتصادية، وماعلى المواطنيين إلا أن يستقبلوا ويستوعبوا هذه الآراء والأفكار دون تمييز أو مقارنة بغيرها[٤٦].

ويرى «جارينر» أن وسائل الإعلام تتمتع بتأثير متميز فى قدرتها على زرع الأفكار والقيم الثقافية. ويختلف هذا التأثير من فرد إلى آخر حسب الوقت والمكانة الاجتماعية والسلم الوظيفى. وقد اهتم «مارشال ماكلوهان» بهذه الأفكار وركز على أن العالم سوف يكون بمثابة قرية صغيرة نتيجة للتقدم الهائل الذى سوف يحدث فى أجهزة الإعلام وخصوصا فى التليفزيون[٤٧].

وقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الراهن قادرة على نقل مختلف الأحداث فور وقوعها إلى أى مكان فى العالم. وهكذا أصبحت

الكرة الأرضية بمثابة قرية عالمية، تلاشت فيها أهمية الحدود السياسية والفواصل الجغرافية. وتتعرض مختلف دول العالم الثالث لحملات مستمرة من هذه الوسائل، مما يحتم على هذه الدول حماية الرأى العام بها من التأثيرات الضارة لهذه الوسائل وفى مقدمتها الإذاعات المسموعة والمرئية(٤٨).

وإذا تحدثنا عن أهمية الإذاعة فى تشكيل الرأى العام – باعتبارها أداة من أدوات الضبط الاجتماعى – نجد أن سيناء تعتبر بوقا إعلاميا خطيراً فى المنطقة لما يتميز به موقعها الجغرافى الممتاز، فهى ملتقى الإذاعات العربية والأجنبية وخاصة إذاعة إسرائيل ويستطيع المواطن السينائى استقبال العديد من المحطات الإذاعية المحلية والعربية والأجنبية. ونتيجة لهذا التميز الجغرافى، وتعرضها لفترة احتلال قاربت خمسة عشر عاماً، فقد تميز الرأى العام لشعبها بالمقارنة بشعب الوادى، حيث فرضت العزلة الجغرافية عليها طوال هذه الفترة لجوء المواطن السينائى إلى الإذاعة لمعرفة الحقائق والأخبار، ومن ثم جاءت محصلة تكوين أفكاره واتجاهاته لما لقنته له الإذاعات المختلفة من معلومات. وعلاوة على ذلك فرضت الإذاعة أهميتها على المواطن السينائى نظراً لافتقاده وسائل الاتصال الأخرى مثل الصحف وصعوبة التقاط إرسال التليفزيون المصرى. وكانت الإذاعة هى الوسيلة الأولى بل والوحيدة التى تقوم بدور الترفيه والإعلام والإخبار، وتصاحب المواطن فى قضاء أوقات فراغه. ومن هنا برزت أهمية الإذاعة فى تشكيل الرأى العام بالمجتمع السينائى.

ومن منطلق الاهتمام بأهمية الإذاعة فى تشكيل الرأى العام لدى المواطن السينائى وضبط وتوجيه سلوكه، فقد استخدم المحتل الإسرائيلى هذه الوسيلة استخداما جيداً يتوافق مع مصالحه. ولجأت إسرائيل طيلة فترات احتلالها للمنطقة إلى تلفيق الأخبار وتشويه الحقائق. وحاولت أيضا الترويج لإقناع المواطن البدوى البسيط بسياسة فرض الأمر الواقع والتقليل من مصداقية الحكومة المصرية. وعملت الإذاعة الإسرائيلية من خلال برامجها المتنوعة على

جذب قاعدة عريضة من جماهير البادية، وتخاطبهم بلهجاتهم ومستوياتهم الثقافية. وكان برنامج «العم حمدان» من أبرز البرامج التى حاولت هدم الروح المعنوية لدى المواطن المصرى، ويتناول نقداً عنيفا للسياسة المصرية، وإجبار مصر على الخضوع والاستسلام[٤٩] . أما التليفزيون، فيمكن القول عنه بأن تأثيره يعادل ثلاثة أضعاف تأثير الإذاعة، وذلك لأن برامج التليفزيون تعطى إحساساً بالألفة. وتتوقف قوة تأثير التليفزيون بالنسبة للرأى العام على حسن إعداد البرامج وتنوعها وجاذبيتها للمشاهد والبعد عن السطحية، وكذلك عرض الحقائق وتبسيطها للوصول بها إلى كافة العقول ذات الثقافات المتباينة[٥٠] .

وإذا حاولنا التعرض لخصائص التليفزيون، نجد أنه أصبح يشكل محورا مركزيا فى حياتنا اليومية، وجزءا من ثقافتنا، ويعد أيضا وسيلة تشير إلى تكامل المجتمع ثقافيا. وقد وصف «سيلفرستون» Silverstone التليفزيون بأنه وسيلة ساحرة معقدة مليئة بالتناقض، ويتميز أيضا عن الوسائل الأخرى بأنه وسيلة سمعية بصرية، حيث يجذب العين والأذن، كما أنه لايرسل الصورة فقط، وإنما الصورة المتحركة بما فيها حركة الجسم والتعبيرات التى تنعكس على الوجوه. كما أن التليفزيون وسيلة قوية يمكن بواسطتها الوصول إلى جميع المواطنين، وأخيرا يتيمز عن المواد المطبوعة بتقديمه المادة فى آنيتها.[٥١]

ونظراً لهذه المميزات التى يتمتع بها التليفزيون، فقد حاولت إسرائيل استغلاله جيداً طيلة فترات الاحتلال من أجل تشكيل رأى عام موال لها، وبالتالى سهل على إسرائيل ضبط وتوجيه سلوك سكان المناطق المحتلة. واستطاعت فرض برامجها ونشر ثقافتها بين المواطنين، وسهلت مهمتها فى إقناعهم بما تعرضه عليهم. فالصوت والصورة عاملان مشجعان لإثبات الحقيقة، بالإضافة إلى انعدام وسائل المقارنة. وكثيرا ماتجح المحتل الإسرائيلى عزل المواطن السينائى عن ثقافته وانتمائه لبلده مصر. وقد امتد استخدام إسرائيل للتليفزيون فى تشكيل رأى عام موال لها حتى بعد الاستقلال ووصول

الإرسال التليفزيونى المصرى إلى أرض سيناء، فقد لوحظ توجه معظم المواطنين إلى التليفزيون الإسرائيلى بصورة ملفتة للنظر بالمقارنة بمشاهدتهم لبرامج التليفزيون المصرى. ومن هنا تبدو أهمية استخدام هذا الجهاز الخطير فى تشكيل الرأى العام فى هذه المنطقة الهامة التى عاش شعبها عشرات السنين تحت نير الاحتلال وتعرضه لأكبر عمليات غسيل المخ.

وقد تمثلت عمليات غسيل المخ التى يمارسها التليفزيون الإسرائيلى على سكان الأرض المحتلة بأن عهد إلى إعطاء المتلقى السينائى صورة ذهنية مشرقة عن إسرائيل، وإبراز القيم الحضارية لها، والتعظيم من شأن القوة العسكرية لها، ووصفها بالقوة الخارقة، واستطاعتها تدمير الجيوش العربية مجتمعة. ولم تكتف وسائل الدعاية فى التليفزيون الإسرائيلى على عرض عضلات المحتل الإسرائيلى، بل حاولت التشكيك فى مقومات الأمة العربية، واعتبارها خليطاً متنافراً من الشعوب والأجناس والأقليات. وحاولت الدعاية الإسرائيلية إقناع المواطن العربى بواقع التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى تعيشه مصر والدول العربية، ومن الصعب تجاوزه(٥٢).

وعن دور الصحافة فى تشكيل الرأى العام فى مجتمع شمال سيناء، نجد أن العلاقة بين الصحافة والرأى العام هى علاقة تشابك وتداخل لايمكن إغفالها، حيث أن درجة الثقة فى الصحافة يترتب عليها مدى نجاحها فى التأثير فى الرأى العام. فالكلمة المطبوعة تؤثر بدرجة كافية فى القارىء بالمقارنة بالكلمة المسموعة. فالكلمة المطبوعة تتيح للقارىء فرصة عظيمة لفهم معناها ومدلولها. وتترك أيضا له الحرية فى اختيار الوقت المناسب للرجوع إليها والاستمتاع بها. وتعتبر الصحافة سلاحاً خطيراً من أسلحة الإعلام التى لعبت دوراً هاما فى تكوين الآراء وتوجيهها(٥٣). ولما كانت سيناء مجتمعاً صحروايا يتناثر سكانه عبر الصحراء، ويصعب توزيع الصحف على هذه المناطق المتباعدة – باستثناء مدينة العريش – فجاء تأثير الصحافة فى الرأى العام ضعيفاً إذا ماقورن

بوسائل الاتصال الأخرى. علاوة على ذلك تعتبر الصحافة وسيلة بطيئة فى توصيل المعلومات، وبالتالى يتضاءل تأثيرها. ومن هنا لم تحاول إسرائيل الاعتماد عليها خلال فترات الاحتلال فى توجيه الجماهير وضبط سلوكهم.

سابعا: أثر العزلة الجغرافية والاحتلال الإسرائيلى فى عملية الضبط الاجتماعى.

سأل أحد أفراد الاحتلال رجلا بدويا: أيهما أفضل من وجهة نظرك الحكم المصرى أم الإسرائيلى ؟. فرد عليه البدوى صريحا قائلا: «والله لو تجمعت إسرائيل بكاملها فى صورة شخص واحد وقدموا لى الشهد فى كل صباح لتذوقته مراً اليماً. ولو كنت فى سجون مصر لكانت هى جنتى». هذه وجهة نظر تؤكد على رفض البدوى للاحتلال نتيجة لما وجد فيه من آثار سلبية ومعاناة انعكست على ظروفه الاقتصادية وأحواله المعيشية، وبالتالى على أفكاره ومعتقداته. ولكن فى مقابل وجهة النظر السابقة تبدو آراء أخرى متحفظة على سياسة المحتل، أو وجهات نظر مؤيدة له، لكن فى نهاية الأمر، لكل طرف له من المبررات والأسباب التى تدعوه لمناصرة وجهة نظره. وهذا ماسوف نتعرض له من خلال الأمثلة والمواقف التى توضح الآثار التى تركها الاحتلال فى المواطن البدوى، وانعكاس ذلك على تكوين الرأى العام وبالتالى ضبط توجيه السلوك.

لقد استخدم المحتل الإسرائيلى فى تعامله مع بدو سيناء أسلوب الترهيب والعقاب الجماعى فى مقابل ترك الحرية التامة لهم لممارسة الأعمال التجارية والكسب. وكان من نتيجة ذلك هو وضع الحكومة المصرية فى مأزق كثيرة بعد التحرير. فقد ظهرت مشكلات عديدة عقب انتهاء الاحتلال مباشرة، حيث كان يعمل عدد كبير من الشباب داخل إسرائيل. وقد خلق ذلك موقفا حرجا للحكومة المصرية إبان التحرير، لأنه كان من الصعب تعويض هؤلاء الشباب بالميزات التى افتقدوها. وربما قد خلق هذا فى الشباب رأيا عاما مؤيدا لإسرائيل(٥٤).

ولما كانت بحيرة البردويل تمثل مصدراً اقتصاديا حيويا لعدد كبير من الصيادين فى منطقة شمال سيناء، فقد استطاعت إسرائيل استغلالها جيداً لصالحها بشرط الحفاظ على استفادة الصيادين. وخلال فترات الاحتلال سمحت إسرائيل لهم باستخدام أدوات الصيد الحديثة، بل قامت بتزويدهم بهذه الأدوات لاستغلال مصادر الثروة السمكية بالبحيرة. وبعد انتهاء الاحتلال، فرضت الحكومة المصرية القيود على استخدام هذه الوسائل، وبالتالى تفاقمت المشاكل بين الصيادين والحكومة المصرية، وعلاوة على ذلك فرض حرس الحدود قيودا جديدة على الصيد فى هذه المنطقة.

أما المشكلة التى واجهت التجار عقب انتهاء الاحتلال، فقد تمثلت فى زيادة عددهم خلال فترات الاحتلال نتيجة لسيادة الرأسمالية الحرة داخل إسرائيل، علاوة على ذلك كان يعمل جزءاً كبيرا من هؤلاء التجار بالبضائع الأجنبية، لكن بعد التحرير أصبح هناك اتجاها يدعوا إلى دخول السلع المصرية، والتقليل من استيراد السلع الأجنبية، بل وفرض القيود عليها. واضطر التجار إلى قبول القوانين المصرية، خاصة قوانين الدعم والرقابة على السلع، مما نتج عنه حدوث مشكلات بين التجار والحكومة، الأمر الذى فرض رأيا عاما متحفظا من قبل التجار على قبول الإدارة المصرية بعد التحرير.

ونتيجة لظهور المشكلات السابقة وغيرها عقب التحرير مباشرة، وماتبعها من تكوين رأى عام مناهض للإدارة المصرية. فقد كان لزاماً على الحكومة المصرية أن تتخذ خطوات عملية لحل هذه المشكلات، ومحاولة خلق رأى عام موال لها. فقد واجهت مشكلات شباب الحرفيين باستغلالهم فى تعمير سيناء. وعن مشكلة التجنيد، أصدر وزير الدفاع قراراً بالعفو عن جميع الشباب الذين عاصروا الاحتلال. أما مشكلة الصيادين، فقد عقدت مؤتمرات وندوات بالاشتراك مع سلاح الحدود وأمكن التغلب على مشاكلهم. وفى مجال

التعليم، أقيمت نهضة تعليمية سريعة، حيث أصبح فى كل قرية مدرسة. وفى سنة ١٩٦٧ كانت توجد مدرسة ثانوية وحيدة بالمحافظة، وبعد التحرير أقيم فى كل مركز مدرسة ثانوية عامة، علاوة على المدارس الفنية. وبالرغم من محاولة الإدارة المصرية التخلص من بعض المشكلات التى ظهرت عقب انتهاء الاحتلال، إلا أن هناك بعض العناصر من البدو لم تنس المميزات التى عادت عليها خلال فترات الاحتلال، ولم تنس أيضا فضل إسرائيل عليهم. فعندما بدأ الاحتلال الإسرائيلى للمنطقة كانت الظروف المعيشية للبدو تمر بأصعب أحوالها. فقد ترك الناس منازلهم وقت الحرب، وسكنوا الجبال بلا مأوى أو طعام. ورأت إسرائيل فى هذه الظروف الصعبة فرصة سانحة لجذب هؤلاء المواطنين. وقامت بجمع الناس من الجبال، وتقديم الخدمات الأساسية لهم، حيث أنشأت خط مياه من بئر السبع – من داخل إسرائيل – ومدت الخطوط داخل سيناء. وانتشرت التجمعات البدوية حول المياه، علاوة على إنشاء مجموعة من الطرق يستفيد منها البدو، وتخدم القوات المسلحة الإسرائيلية. واهتمت بالخدمات الصحية. ويؤكد أحد المواطنين ذلك بقوله «لو كان فيه حالات ولادة صعبة، تنزل الطائرات الهيلوكبتر الإسرائيلية الجبل وتنجد مثل هذه الحالات».

ولم تكتف إسرائيل بالممارسات السابقة فى عمليات غسيل مخ المواطن السينائى، بل حاولت جذب المواطنين واستقطابهم، فأدخلت الصناعات الإسرائيلية والبضائع المستوردة من الغرب إلى سيناء. وكان الهدف من وراء ذلك هو وضع المواطن السينائى فى مقارنة بين المنتجات المصرية والإسرائيلية. ويعبر عن هذا الموقف أحد البدو قائلا: «أنا لابس بروفل استعملته ١٥ سنة منذ أيام الاحتلال.. صناعة إسرائيلية، مفيش منه». وحرصت إسرائيل على غرس الانتماء والولاء لها فى نفوس البدو من خلال مواقف عديدة، مما جعل المواطن البدوى البسيط يشعر بأن إسرائيل تخاف على حياته. ويؤكد ذلك رواية مشهورة يتداولها الناس فى مجالسهم وهى:

«أنشأت إسرائيل فى أحد المناطق التابعة لمركز بئر العبد معسكرا قبل حرب ١٩٧٣ . وأقامت بجانب المعسكر منازل مضاءة بالكهرباء. وكانت إسرائيل تهدف من وراء ذلك خداع القوات المصرية. وكان أحد الجنود يتردد على المعسكر كل مساء لإضائته ثم يعود فى الصباح لإطفائه. وعرض الإسرائيليون على البدو الإقامة فى هذه المنازل المقامة بجانب المعسكر، شريطة أن يقيموا فيها نهاراً فقط، ويغادورها مساءا خوفاً من قيام القوات المصرية بضرب هذه المنازل ليلاً».

ومن خلال المظاهر السابقة التى استخدمها المحتل الإسرائيلى فى غسيل المخ ، يمكن القول بأنه استطاع – المحتل – بفضل هذه العمليات وعلاوة على مساعدة العزلة الجغرافية للمنطقة أن يكسب رأيا عاما مؤيداً له، بل ومناهضاً لتحرير سيناء وعودة الإدارة المصرية إليها. ومن هنا عملت إسرائيل على توجيه وضبط سلوك المواطنين وفق مايتراءى لها لخدمة أهدافها وتحقيق مصالحها، وانعكس ذلك بالضرورة على معتقدات وأفكار المواطن السينائى تجاه الإدارة المصرية. ولذلك صعبت مهمة الأخيرة فى تشكيل رأى عام موال لها، بل ومازلت تصعب مهمتها فى توجيه وضبط سلوك المواطن فى هذه المنطقة حيال القضايا والقوانين المصرية.

خاتمة: النتائج العامة للدراسة.

تعرضنا فيما سبق إلى تناول وسائل تشكيل الرأى العام فى المجتمع السينائى، وذلك باعتبار أن الرأى العام يمثل أداة هامة من أدوات الضبط الاجتماعى فى المجتمع. وقد تمثلت هذه الوسائل فى ثلاثة محاور أساسية، برز خلالها دور الاتصال الشخصى ممثلا فى قادة الرأى والتنظيمات الحزبية. وجاءت وسائل الإعلام بأشكالها المتعددة لتمثل محوراً ثانيا، وأخيرا تأثير العزلة الجغرافية والاحتلال الإسرائيلى يمثل محوراًثالثا. ومن خلال مناقشة هذه المحاور، فقد لوحظ أن كل من هذه الأساليب لعبت دوراً هاماً فى تشكيل

الرأى العام، وبالتالى فى تحقيق الضبط الاجتماعى.

ويمكن القول بأنه مهما اختلفت أساليب تشكيل الرأى العام فى المجتمع السينائى، إلا أن لكل من هذه الأساليب مايميزه من خصائص ومميزات. فقادة الرأى مثلا قد يلعبون دوراً فعالا فى تحقيق الضبط الاجتماعى فى بعض القضايا الخلافية المثارة بين القبائل. وكذلك تؤدى التنظيمات الحزبية دوراً هاما فى تحقيق الضبط الاجتماعى من خلال التفاف المواطنين حول أيديولوجية معينة وأهداف عامة تسعى التنظيمات الحزبية إلى تحقيقها.

أما عن وسائل الإعلام وتشكيل الرأى العام فى مجتمع شمال سيناء، فقد لوحظ أن هذه المنطقة تمثل بوقا إعلاميا خطيرا فى المنطقة، وعلاوة على عزلتها الجغرافية نسبيا عن مصر. ومن هنا جاءت أهمية وسائل الإعلام. وقد لوحظ أن المحتل الإسرائيلى استخدم هذه الوسائل استخداما جيداً فى تحقيق الضبط الاجتماعى إبان فترات الاحتلال بل استطاع تشكيل رأيا عاماً كامنا لصالحه فى نفوس المواطنين حتى بعد رحيله عن المنطقة. ولكن بعد تحرير سيناء ودخول الإدارة المصرية إليها، فقد تم إعادة تشكيل الرأى العام فى المنطقة من خلال إنشاء إذاعة شمال سيناء ووصول الإرسال التليفزيونى المصرى إلى المنطقة، علاوة على الأنشطة التى يمارسها الإعلام الداخلى ممثلاً فى المجمع الإعلامى النموذجى بالعريش ومراكز الإعلام بالمحافظة.

وقد شكلتا أيضا كل من العزلة الجغرافية والاحتلال الإسرائيلى دورا هاما فى عملية تشكيل الرأى العام للمواطن السينائى. وتمثل ذلك فى نظرته إلى قضايا وطنه، بل وانتمائه، حيث مارس المحتل عمليات غسيل مخ واسعة للمواطنين وبالتالى ترك آثاره السلبية على المنطقة لكنه لم ينجح فى ممارسة هذا الدور إلا على فئة معينة من المواطنين، خصوصا الذين تأثرت مصالحهم الاقتصادية بعد رحيل المحتل.

ونخلص من استعراض أساليب تشكيل الرأى العام فى شمال سيناء، وبالتالى فى تحقيق الضبط الاجتماعى إلى التأكيد على أن بعض هذه الأساليب قد يستخدم استخداما جيداً مثل قادة الرأى، وكذلك التنظيمات الحزبية شريطة إطلاق الحرية التامة لنشاطها، وإزالة المعوقات التى تحد من ممارسة دور هذه التنظيمات، واختيار المواطنين الأحزاب السياسية التى تتوافق مع اتجاهاتهم وأفكارهم. أما عن العزلة الجغرافية وتأثير الاحتلال الإسرائيلى ووسائل الاتصال الجماهيرى، فهى عناصر متشابكة، قامت بدور سلبى فى تحقيق الضبط الاجتماعى، بل مازال تأثيرها ممتد حتى الآن. فقد نتج عن وجود هذه العناصر الثلاثة تشكيل رأى عام مناهض لبناء المجتمع. ومن هنا يأتى أهمية الإعلام المصرى فى إعادة تشكيل الرأى العام بالمنطقة ليتضافر مع وسائل الاتصال الشخصى فى تحقيق الضبط الاجتماعى.

وبينما ترى وجهة النظر السابقة ضرورة الاهتمام بدور وسائل الاتصال الجماهيرى فى تحقيق الضبط الاجتماعى، تبرز وجهة نظر أخرى لم يتعرض لها البحث تؤكد على أهمية دور الدولة فى توفير الحاجات الأساسية للمواطنين. ويمكن أن نستخلص هذه الرؤية من تعليق أحد المواطنين بمدينة العريش وهو يقول: «يجب على الدولة أن تشعر المواطن العادى بآدميته، ووطنيته ومصريته، ويأتى ذلك من خلال إحساسه بالمسئولية، بل والمشاركة الفعلية فى المجتمع أسوة بالمواطن العادى فى المحافظات الأخرى. ولكن ليس للإعلام أى دور فعال دون الاهتمام بقضايا الجماهير الأساسية. ويجب عمل مؤتمرات عامة يحضرها المواطنون، ويؤخذ بآرائهم فى حل المشاكل. وهذا مايهدىء النفس، إطعم الفم تستحى العين. فالمفروض إقامة ندوات توضح للمواطن البدوى نوايا المحتل جراء تقديمه الخدمات، وذلك لأن العامل الاقتصادى يعد أحد العوامل الأساسية فى تحديد الانتماء. فالإعلام بمفرده غير قادر على جلب الانتماء».

وبالرغم من أهمية البعد الإقتصادى الذى أكدت عليه الرؤية السابقة وقناعتى الشخصية بالدور الأساسى الذى تؤديه الظروف الاقتصادية فى تحقيق الضبط الاجتماعى، إلا أن هناك أيضا جانب معنوى تتولى تنظيمه وإدارته الأجهزة المسئولة بالدولة. وهذا مايقوم به بالفعل المركز الإعلامى بالعريش من تنظيم برنامج إعلامى يزور فيه الشباب السينائى المدن المصرية، حيث يتم تنظيم سفر أفواج من شباب رفح والشيخ زويد والعريش والمناطق الأخرى لزيارة المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية والمحلة الكبرى والمدن الأخرى. وتهدف هذه الزيارة إلى تمكين الشباب السينائى من عقد مقارنات بين المدن المصرية والمدن الإسرائيلية. وعلاوة على ذلك يقوم المجلس الأعلى للشباب والرياضة بتنظيم رحلات سياحية لشباب الجمهورية لزيارة الأماكن المختلفة بسيناء، وإقامة المعسكرات الدائمة بها.

ونستخلص مماسبق أن هذه الدراسة خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- يشكل قادة الرأى فى مجتمع شمال سيناء دورا فعالا فى تحقيق الضبط الاجتماعى بالنسبة لبعض القضايا الخلافية المثارة بين القبائل. ويأتى ذلك نتيجة وجود شبكة شخصية من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تسمح بإحداث تفاعل اجتماعى بين الأفراد وبعضهم بعضا أو بينهم والدولة.

٢- تؤدى التنظيمات الحزبية دورا هاما فى تحقيق الضبط الاجتماعى، ويتمثل ذلك فى اختيار قيادات التنظيمات السياسية على مستوى القرية والمركز والمحافظة. وقد بدا ذلك واضحا فى ترشيحات المجالس المحلية ومجلسى الشعب والشورى.

٣- تعد السلطة القبلية هى القوة الأولى الملزمة فى ضبط سلوك الأفراد وتوجيه آرائهم فى المجتمع. وغالبا ماتفشل للسلطة السياسية فى فرض أفراد معينين أو أوضاع سياسية معينة لايرضى عنها أبناء مجتمع شمال سيناء.

٤- أصبحت وسائل الإعلام أداة رئيسية هامة فى اتصال الدولة بمواطنيها. وقد شكلت هذه الوسائل دورا هاما فى مجتمع شمال سيناء فى ضبط سلوك المواطنين وتوجيههم سواء خلال فترات الاحتلال أو بعد التحرير. وقد تمثل ذلك فى تفنيد الإدعاءات الاسرائيلية عن مصر إبان الاحتلال من خلال الإذاعات الموجهة أو عبر تقديم رسالة إعلامية تؤكد على المشروعات التنموية وتوعية مواطنى سيناء وتبصيرهم بالمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٥- برزت أهمية استخدام وسائل الإعلام المصرية فى إعادة تشكيل الرأى العام بشمال سيناء عقب التحرير مباشرة بصورة واضحة، ويأتى ذلك نتيجة لعمليات غسيل المخ التى مارستها وسائل الإعلام الاسرائيلية إبان فترات الاحتلال. وتمثل ذلك بصورة واضحة بالنسبة لاستخدام الإذاعة والتليفزيون باعتبارهما أداتين هامتين فى تشكيل الرأى العام بمحافظة شمال سيناء بالمقارنة باستخدام الصحافة. ويرجع ذلك إلى سهولة تعرض المواطن لهما وجاذبيتها فى توصيل المعلومة فى مقابل ارتفاع نسبة الأمية وتعثر عمليات توزيع الصحف بالمحافظة خاصة بين المناطق الجبلية.

٦- شكلت العزلة الجغرافية والاحتلال الاسرائيلى عاملين أساسيين فى تشكيل الرأى العام بمحافظة شمال سيناء. وقد تمثل ذلك فى سياسة الترغيب والترهيب التى اتبعتها اسرائيل خلال فترات الاحتلال لمواطنى شمال سيناء.

٧- برز دور اسرائيل واضحا فى تشكيل رأى عام موال لها من خلال ترك الحرية التامة لمواطنى سيناء فى ممارسة المشروعات التجارية بحرية تامة وكسب الأموال واستيراد المنتجات الاسرائيلية وكذلك فى بعض المواقف الانسانية.

٨- واجهت الحكومة المصرية بعض الصعوبات في إعادة تشكيل الرأى العام لمواطنى شمال سيناء بعد الاحتلال، وذلك لتأثير عمليات غسيل المخ التى مارستها اسرائيل فى المواطنين، علاوة على بطء اجراءات الحكومة المصرية فى حل مشاكلهم.

٩- تتمثل عملية تشكيل الرأى العام السليم لمواطنى شمال سيناء فى غرس روح الانتماء والاعتزاز بالهوية المصرية، ويبرز ذلك فى إزالة آثار العدوان النفسية والاقتصادية والاجتماعية، وربط مواطنى سيناء بالوادى والدلتا، وتوجيه رسالة إعلامية صحيحة تتسم بالموضوعية وتدعم القيم الايجابية، وتقاوم السلبية والعزلة واللامبالاة، علاوة على خلق فرص العمل للمواطنين وزراعة الأراضى وإقامة المصانع.

الهوامش والمراجع:

١- د. أحمد أبو زيد، البناء الإجتماعي - مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثاني، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٧، ص ص: ٤٢٣ - ٤٢٦.

٢- د. أحمد الخشاب، الضبط الإجتماعي - أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة الحديثة، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص: ١١٤ - ١١٥.

٣- د. أحمد أبو زيد، البناء الإجتماعي، مرجع سابق، ص: ٤١٨.

4- Jese R.Pitts, Social Control, The Concept in: David.Sills, International Encyclopedia of Social Sciences. Callier- Macmillan,The Free Press Vol.13, London, 1968,p:383.

٥- د. أحمد أبو زيد، البناء الإجتماعي، مرجع سابق، ص:٤٢٢.

6- Amitial Etziani, Social Control - Organizational Aspects, in: David L.Sills, op. cit., p. 396.

٧- د. أحمد أبو زيد، البناء الإجتماعي، مرجع سابق، ص:٤٣١.

٨- د. أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص:٥٨.

9- W.Phillips Davison, Public Opinion, in: David L.Sills, Vol.13, op. cit, p:188.

١٠- د. أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص ٢١٢.

١١- المرجع السابق، ص:٢١٨.

١٢- د. أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية في مصر - دليل العمل الميداني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٠، ص:١.

١٣- نقلا عن: د. أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية في مصر - البحث الأول شمال سيناء - دراسة انثروجرافية للنظم والأنساق الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، ١٩٩١، ص: ٢٦١.

١٤- د. محمد عبده محجوب، مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص:١٤٣.

١٥- المرجع السابق، ص:١٤٣.

١٦- د. عبد الباسط عبد المعطى، البحث الإجتماعى- محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص:١٩١.

١٧- د. أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية فى مصر، دليل العمل الميدانى، مرجع سابق.

18- George G.Homans, The Human Group, Kegan Paul, LTP, London, 1959, p:284.

١٩- د. محمود أبو زيد، الشائعات والضبط الاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص:٤٥.

٢٠- د. سامية جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص :٨٩.

٢١- د. أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص:٢٢٠.

٢٢- المرجع السابق، ص ص :٢٢٢ ، ٢٢٣.

١٣- د. سامية جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، مرجع سابق، ص :٨٠.

٢٤- بالرغم من هذه الإيجابيات، إلا أن روسو ذكر بعض الخصائص السلبية للرأى العام مثل:

١- أنه ليس هناك فرد من أفراد المجتمع يعرف بالتحديد إلى أى مدى يمدح ويثنى، وإلى أى مدى يلوم. ولذلك تظهر المتناقضات التى تضعف من سلطة الرأى العام.

٢- المفروض أن يكون هناك رأيا عاما موحداً وثابتا فى وقت معين، ولكن غالبا مايصطدم الرأى العام مع شعور طائفة معينة.

٣- أن سلطة الشروة والمكانة،وكذلك إصدار الأوامر والقرارات تجعل ضبط الحكام عن طريق الرأى العام مسألة صعبة: المرجع السابق، ص :٨٠.

٢٥- د. عبد الوهاب كحيل، الرأى العام والسياسات الإعلامية، مكتبة المدينة، القاهرة، ١٩٨٥، ص :٥٤.

٢٦- د. رفيق صكرى، مدخل فى الرأى العام والإعلام والدعاية، منشورات جروس برس، طرابلس، لبنان، ، ١٩٨٤، ص ص : ١٩ - ٢٠.

٢٧- هويدا على ، قادة الرأى - المفهوم والمنهج، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، المجلد التاسع والعشرون، العدد الثانى، مايو ١٩٩٢، ص : ٥٩.

٢٨- د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨١، ص :١٥٥.

٢٩-د. صلاح العبد، علم الاجتماع التطبيقى وتنمية المجتمع العربى، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢، ص:٢٧٥.

30- Amitail Elzioni,op.cit., pp: 397,398.

٣١- د. سمير حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤، ص:٩٩.

٣٢- د. نادية سالم، قادة الرأى فى المجتمع المصرى - دراسة تحليلية عن الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لقادة الرأى المحليين فى الريف، ندوة قياس الرأى العام فى مصر ١٠-١٢ مارس ١٩٨١، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨١ ص ١٦.

33- George G.Humans, op.cit,p: 429.

٣٤- د. سامية جابر، الاتصال الجماهيرى فى المجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص: ٢٣٥.

٣٥- د. رفيق صكرى، مرجع سابق، ص :٨٦.

٣٦- د. نعمان الخطيب، الأحزاب السياسية ودورها فى أنظمة الحكم المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص: ٩١ - ٩٧.

٣٧- د. أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية فى مصر - البحث الأول شمال سيناء، مرجع سابق، ص :٢٨٠.

٣٨- د. مصطفى أحمد تركي، وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الفرد، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، يناير - مارس ١٩٨٤، ص:١٠١.

٣٩- هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٦، أكتوبر، ١٩٨٦، ص : ١٩٤.

٤٠- د. أحمد أبو زيد، الإعلام والرأى العام، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، الكويت، يناير - مارس - ١٩٨٤، ص: ٤.

41- Richard T.Lapiere. A theory of Social Control, Mcgraw - Hill, Book Company, Inc., London, 1954, p:519.

42- Steven H.Choffe, Michael J.Petrick, Using the Mass Media, Mcgraw - Hill Book Company, New York, 1975, p: 172.

43- Jese R.Pitts, Op.cit,p: 385.

٤٤- د. أمانى قنديل، وسائل الإعلام وظاهرة الرأى العام، ندوة قياس الرزى العام فى مصر، ١٠-١٢ مارس ١٩٨١، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨١، ص : ١٩.

٤٥- ونتيجة لأهمية هذا الدور الذى تمارسه مراكز الإعلام بالمحافظة، حاول المسؤلون التوسع فى انشائها، حيث تم إنشاء مركز إعلام العريش فى ٢٥ مايو ١٩٧٩، ومركز إعلام رفح فى ٢٥ إبريل ١٩٨٢، ومركز إعلام المنفذ البرى برفح، بالإضافة إلى المركز الرئيسى وهو مركز النيل للإعلام.

٤٦-محمد فرج، الدولة وتشكيل الوعى، مجلة قضايا فكرية، الكتاب الأول، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، يوليو ١٩٨٥، ص :١٣٥.

47- Denis Mcquail , The Influence and Effects of Mass Media, in : James Curran ed., Mass Communication and Society, Edward Arnold, London, 1977, p: 89.

٤٨- د. عبد الغفار رشاد، النتائج السياسية للرأى العام، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، المجلد الثانى عشر، ١٩٨٤، ص ص : ١١٧ - ١١٨.

٤٩- تحدث «ايغال يادين» رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ١٩٥٠ - ١٩٥٢ في ندوة عقدتها جريدة «معاريف الإسرائيلية» بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيس إسرائيل قال فيه: «إن لدينا سلاحاً من الدرجة الأولى لانستغله كما ينبغي، وهو وسائل الإعلام باللغة العربية.. هيئة الإذاعة التي أتحدث عنها يجب أن تعمل ٢٤ ساعة يوميا بأقوى أجهزة بث إذاعية وإلى أبعد المسافات من العراق حتى مصر يوما بيوم وساعة بساعة وسنة بسنة. هناك عدة أمور يمكن أن نقولها لهم في مصر مثل ٢٥ أو ٣٠ مليون مريض بالزهري ويعانون من مرض الحمى كذا، وقضية فلسطين بالنسبة لهم كقشرة الثوم، يجب أن ندخل في أذهانهم هذا الأمر صباح مساء، يجب أن نحدثهم عن مشكلاتهم ومايمكن عمله بخصوص تلك المشكلات.. تعالوا نحرضهم أن بإمكانهم أن ينسوا إفناء إسرائيل».

- د. إبراهيم عبد الكريم، الإعلام الإسرائيلي الموجه إلى العرب - بحث في المرسل والخطاب، مجلة الوحدة السنة الخامسة، الرباط، العدد ٥٤، مارس ١٩٨٩، ص:٦٠.

٥٠- د. سعيد سراج، الرأي العام - مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص: ١٨٤ - ١٨٦.

51-Roger Silverstone, Television and every day life, Routledge, London, 1994, p: 24.

٥٢- د. إبراهيم عبد الكريم، مرجع سابق، ص ص ٦٤-٦٥.

٥٣- د. خليل صابات، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم، دار المعارف بمصر، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٧، ص:١٧.

٥٤- امتدت عمليات غسيل المخ لتشمل السماح للمواطنين العمل داخل اسرائيل ذاتها، حيث كانت تعيش سيناء ظروفا اقتصاديا صعبة، وفي الوقت ذاته كانت حاجة إسرائيل إلى العمال المصريين هامة من أجل تنفيذ الشعار الذي رفعه «شاحم بيجين» - وزير الإسكان والرفاه الاجتماعي سنة ١٩٧٠ - تعمير اسرائيل بأيدي عربية. وبدأ انتشار العمال العرب داخل اسرائيل والعمل في كافة مجالات المعمار، وبرواتب مجزية. وحاولت اسرائيل معاملة هؤلاء العمال معاملة انسانية وكسبهم لصالحها، وغرس المقارنة في نفوس المواطنين، والرضا بالأمر الواقع.

مصـادر الدراسـة:

١- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعى - مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثانى، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٧.

٢- أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية فى مصر - دليل العمل الميدانى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٩٠.

٣- أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية فى مصر - البحث الأول شمال سيناء - دراسة انثوجرافية للنظم والأنساق الاجتماعية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩١.

٤- أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعى - أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨.

٥- أمانى قنديل، وسائل الإعلام وظاهرة الرأى العام، ندوة قياس الرأى العام فى مصر (١٠- ١٢ مارس ١٩٨١، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨١.

٦- إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١.

٧- خليل صابات، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم، دار المعارف بمصر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧.

٨- رفيق سكرى، مدخل فى الرأى العام والإعلام والدعاية، منشورات جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٨٤.

٩- سامية جابر، الاتصال الجماهيرى، فى المجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٣.

١٠- سامية جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.

١١- سعيد سراج، الرأى العام، مقوماته وأثره فى النظم السياسية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

١٢- سمير حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤.

١٣- صلاح العبد، علم الاجتماع التطبيقى وتنمية المجتمع العربى، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢.

١٤- عبد الباسط عبد المعطى، البحث الاجتماعى - محاول نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.

١٥- عبد الوهاب كحيل، الرأى العام والسياسات الإعلامية، مكتبة المدينة، القاهرة، ١٩٨٥.

١٦- محمد عبده محجوب، مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

١٧- محمود أبو زيد، الشائعات والضبط الاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

١٨- نعمان الخطيب، الأحزاب السياسية ودورها فى أنظمة الحكم المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.

الدوريات العربية.

١٩- أحمد أبو زيد، الإعلام والرأى العام، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، يناير-مارس ١٩٨٤.

٢٠- عبد الغفار رشاد، النتائج السياسية للرأى العام، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، المجلد الثانى عشر، ١٩٨٤.

٢١- محمد فرج، الدولة وتشكيل الوعى الاجتماعى، مجلة قضايا فكرية، الكتاب الأول، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، يوليو ١٩٨٥.

٢٢-مصطفى أحمد تركى، وسائل الإعلام وأثرها فى شخصية الفرد، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، يناير - مارس، ١٩٨٤.

٢٣- هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٦، أكتوبر ١٩٨٦.

٢٤- هويدا عدلى، قادة الرأى - المفهوم والمنهج، المجلة الاجتماعية القومية المجلد التاسع والعشرون، العدد الثانى، مايو ١٩٩٢.

المراجـــع الإنجليزيـــة.

25- Curran James, ed., Mass Communication and Society, Edward Arnold, London, 1977.

26- H.Choffe Steven, Petrick Michael , J, Using The Mass Media, Macgraw - Hill Book Company, New York, 1975.

27- Davison W.Phillips, Public Opinion in:David L.Sills Encyclopedia of Social Sciences, Callier - Macmillan, The Free Press, vol.13, London, 1978.

28- G.Homans George, The Human Group, Kegan Paul, LTD, London, 1979.

29- L.Sills David, International Encyclopedia of Social Sciences, Callier - Macmillan, The Free Press, Vol.13, London, 1968.

30- Silver stone, Roger, Television and every day lil.e, Rouutledge, London, 1994.

31- T.Lapiere, A Theory of Social Contiol, Mcgraw - Hill Book Company, Inc., Lonodn, 1974.

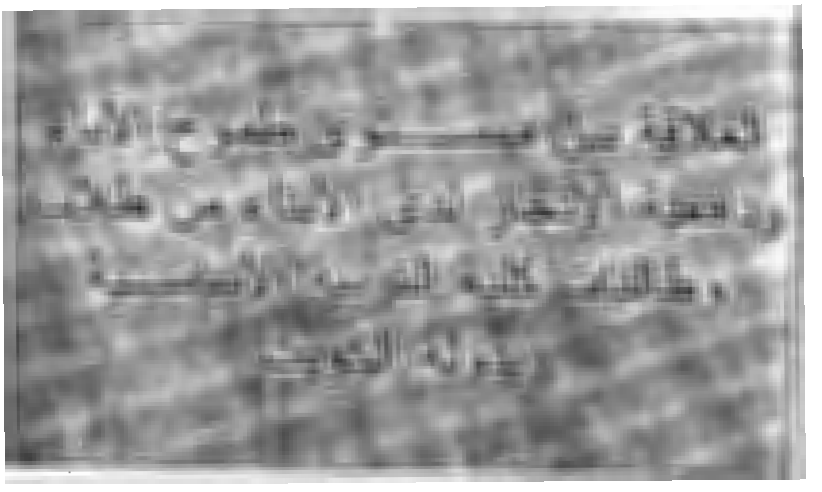

د. فريح عويد العنزى

قسم علم النفس – كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي